بسم الله الرحمن الرحيم
Omdurman Islamic University Journal of Forensic Science
(OIUJ-FS)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية للعلوم الشرعية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiufs/login
https://doi.org/10.52981/oiuj.v19i13060
2023; 1(1); 197 - 226
ISSN: 5361-1858

مواقف من الحكمة النبوية مع الرعية – دراسة وصفية تحليلية

خليفة حامد محمد أحمد

قسم السنة والحديث ، كلية أصول الدين – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان

للاستشهاد بهذا المقال:–

خليفة حامد محمد أحمد ، مواقف من الحكمة النبوية مع الرعية – دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة أم درمان الاسلامية للعلوم الشرعية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiuj.v19i13060

المستخلص :

هذا البحث الذي جاء بعنوان: مواقف من الحكمة النبوية مع الرعية، وشرحتُ فيه بعض المواقف النبوية مع الرعية، في السِلم والحرب، وهذا الموضوع له أهمية كبيرة في توجيه سلوك المسلمين بصفة عامة، والدعاة بصفة خاصة، كما أنه يوضح هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة التعاملية، ويشرح أهمية الحكمة في الإسلام وأنها وسيلة جاذبة للدخول فيه، وله أهداف عظيمة منها: بيان مفهوم الحكمة، وعرض وشرح بعض المواقف من الحكمة النبوية في السِلم والحرب، وقسمت البحث إلى ثلاثة مباحث كالآتي: المبحث الأول بعنوان: مفهوم الحكمة، والثاني بعنوان: نماذج من الحكمة النبوية في السِّلم، والثالث بعنوان: نماذج من الحكمة النبوية في الحرب، وقد خلصت إلى نتائج مهمة منها ما يلي: إن الحكمة هي: الإصابة في الأقوال والأفعال ووضع كل شيء في موضعه، وللحكمة النبوية أنواع عديدة منها ما يلي: إخفاء بعض أنواع البر ليجتهد الناس في طلبها، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإجابة السائلين بما هو خيرٌ لهم في الدنيا والآخرة، ومقابلة السيئة والغلظة بالحسنة والسهولة مالم تُنتهك حرمات الله، والتزام الشوري في الأُمور كلها سِلماً وحرباً، والأخذ بالأسباب قبل التوكل على الله، وقد أثبت بعض التوصيات المتعلقة بهذا البحث منها: وصية لوزارة التربية والتعليم بأن تُدخل في منهجها الدراسي لجميع المراحل تدريس الحكمة النبوية واستخلاص العبر والدروس منها، ووصية لوزارة الشئون الدينية والأوقاف بتعيين دعاة متخصصين، تكون وظيفتهم بث التسامح والتآلف وغيرها من المواقف النبوية الحكيمة بين الناس، ووصية للجامعات الإسلامية وكليات الشريعة والقانون المختلفة بأن تُدخل في منهجها الدراسي كل ما يتعلق بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه للقضاة، وما يتعلق بدراسة سيرته صلى الله عليه وسلم وما فيها من عبر ودروس.

الكلمات المفتاحية: مواقف، الحكمة ، النبوية

Abstract

This is titled: Attitudes of prophetic Wisdom with the subject and some of the prophet's stances with the subjects in pace and war are explained in it Transactional and explains the importance of wisdom in Islam and that it is an attractive way to enter into it and it has great goals including: clarifying the concept of wisdom presenting and explaining some positions on prophetic wisdom in pace and war. Of prophetic wisdom in peace and the third is entitled: examples of prophetic wisdom in war and I included important results including the following: wisdom is: being correct in words and deeds and putting everything in its place and prophetic wisdom is of many types including the following: concealing some type of righteousness so that people strive in seeking it and calling to god with wisdom and good preaching and answering the questioners with what is appropriate for them in this world and the hereafter and responding to bad and harshness with good and ease as long as gods prohibitions are not violated and adhering to consultation in all matters peace and war and taking the means before relying on god and some of the recommendations related to this research have been proven including a recommendation to the ministry of education to include in its curriculum for all stages the teaching of prophetic wisdom and drawing lessons from it and a recommendation to the ministry of religious Affairs and endowments to appoint specialized preachers whose job is to spread tolerance harmony and other wise prophetic attitudes among people and recommendation to the various Islamic Universities and faculties of sharia and law to include in their curricula everything related to the judiciary of the prophet may gods prayers and peace be upon him and his commandments to judges and what is related to the study of his life may gods prayers and peace be upon him and the lessons and lessons it contains.

المقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وبرضائه تُنال الجنات، وبتوفيقه تُدرك الغايات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، صاحب الخلق العظيم والنور المبين، الذى أخرج العباد من عبادة العباد، الى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من تتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، فدخل الناس في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم صلى الله عليه وسلم، الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أبي ذرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرَجَ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي. . .الحديث»[1]

ولاشك أن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحتاج منا إلى تأمل ووقفات، ونظر، وعظات، كيف لا وقد اهتدى بسببها أمم لا تحصى ، من مشارق الأرض ومغاربها ، ومن العرب والعجم ، ولما كان الأمر كذلك رأيت أن أكتب بحثاً وقد اخترت له عنوان (مواقف من الحكمة النبوية مع الرعية– دراسة وصفية تحليلية)، أتطرق فيه إلى بعض هذه الجوانب المشرقة من حكمته صلى الله عليه وسلم ، لعلها تجد أعيناً باصرة ، وقلوباً واعية ، تذكرها بهذا الحق الأبلج ، وتنهاها عن الباطل اللجلج ، فيكون لنا الأجر فى ذلك بإذن الله ، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2]، وأسأل الله العلى العظيم أن ينفع به المسلمين ، وما التوفيق إلا من الله .

أسباب اختيار الموضوع:

1. التعرف على الطريقة النبوية في التعامل مع الرعية.
2. التأسي بالحكمة النبوية في التعامل مع الرعية.
3. التعرف على استجابة الصحابة للتعاليم النبوية.

أهمية الموضوع: تبرز أهميته فيما يلي:

1. إنه يوضح هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة التعاملية.
2. إنه يشرح أهمية الحكمة في الإسلام وأنها وسيلة جاذبة للدخول في الإسلام.

أهداف الموضوع:

1. توضيح مفهوم الحكمة.
2. بيان مواقف من الحكمة النبوية في السِّلم.
3. بيان مواقف من الحكمة النبوية في الحرب.

مشكلة البحث: جهل الناس لحكمة التعامل النبوي مع الرعية.

---

[1]اخرجه البخاري كتاب الصلاة ،بابك ففرضت الصلوات في الإسراء؟ 1 / 458،ومسلم،واللفظله،كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السماوات وفرض الصلوات، 1 / 148.

[2]- اخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ذكر بنى إسرائيل ، 170/4 ح3461 .

أسئلة البحث:

1. ما هو تعريف الحكمة.
2. كيف كانت الحكمة النبوية مع العباد في السِّلم.
3. كيف كانت الحكمة النبوية مع العباد في الحرب.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي، والتزمت فيه بالآتي:

1- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها في متن البحث.

2- خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وذكرت اسم الكتاب والباب اللذين تم إخراج الحديث فيهما، ورقم الحديث.

3- إذا كان الحديث خارج الصحيحين، ووجدت حكماً عليه من أحد العلماء المشهود لهم، ذكرت ذلك الحكم واكتفيت به، وإن لم أجد حكماً على أحد الأحاديث فإني أقوم بدراسة إسناده خارج البحث ثم أبين الحكم عليه، حسب ماهو مقرر في منهج المحدثين في هذا الأمر.

4- شرحت غريب الحديث من الكتب المتخصصة فيه، إلا مالم أجده فيها فإني أشرحه من غيرها.

5- بدأت تعليقاتي بلفظ قلت ووثقت أقوال العلماء بوضع رقم في نهايتها، ونسبتها إلى مصادرها في هامش الصفحات.

الدراسات السابقة: حسب اطلاعي لم أقف على دراسة تناولت موضوعي بحثي بصورة متكاملة، ولكن وجدت بعضاً من الدراسات لها صلة قريبة كانت أو بعيدة بالحكمة النبوية منها:

1. رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، لمحمد طاهر حكيم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1422هـ- 2002م، تناول فيه الكلام عن المصلحة في التشريع، كقيام الشريعة على أساس مصالح العباد، وبيان المصالح المنصوص عليها وغير المنصوص عليها، وضرورة معرفة المصلحة والمفسدة، وشروط المصلحة المعتبرة، ونظر الصحابة الى المقاصد والمصالح، وهو لم يهتم بإظهار الحكمة النبوية بالصورة التي أبرزتها في بحثي.
2. مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، د.سعيد بن على بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، تحدث فيه عن أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله، ومفهوم الحكمة، وأنواعها، وأركانها، وطرق اكتسابها، ثم تحدث عن السلوك الحكيم، والسياسة الحكيمة، وفقه أركان الدعوة إلى الله، وموضوع الدعوة، وأساليبها، ووسائل تبليغها، خلافا لما ذهبت إليه في بحثي من إبراز مواقف من الحكمة النبوية بين الرعية.

هيكل البحث: قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وفهرس المصادر والمراجع وهى كالآتي :-

المبحث الأول: مفهوم الحكمة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحكمة لغة

المطلب الثاني: مفهوم الحكمة اصطلاحا

المبحث الثاني: نماذج من الحكمة النبوية في السِلم وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إخفاء بعض أنواع البر ليجتهد الناس في طلبها

المطلب الثاني: أخذه للذي بال في المسجد بالحسنى والنهى عن ضربه.

المطلب الثالث: مراعاة حال السائلين وإجابتهم بما هو خير لهم .

المطلب الرابع: رد من هم بالزنا إلى رشده .

المبحث الثالث: نماذج من الحكمة النبوية فى الحرب وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : حكمته صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأعرابي الذى هم بقتله فى غزوة من غزواته.

المطلب الثاني: حكمته صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر .

المطلب الثالث : حكمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة احد.

المطلب الرابع: حكمته صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق .

الخاتمة.

الفهارس.

المبحث الأول: مفهوم الحكمة:

لاشك أن من يريد التزام الحكمة فعليه معرفة حقيقتها وما يدخل فيها وما يخرج منها حتى يتجنب ما هو ليس بحكمة ، لذلك قال العلماء الحكم على الشيء فرع من تصوره ، ولما كان الأمر كذلك فلابد لنا أن نبدأ بشرح الحكمة وبيانها حتى يكون الواقف عليها على بصيره من أمره .

المطلب الأول: تعريف الحكمة لغة:

جاءت الحكمة في اللغة بعدة معان، منها:

تستعمل بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد[1].

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم [2]

والحكيم: المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيمًا: قد أحكمته التجارب[3]

والحَكَمُ والحكيم هما بمعنى: الحاكم والقاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى: مفعل[4]

والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل[5]

والحكيم: المانع من الفساد، ومنه سُمِّيت حَكَمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرَس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكمة: الممنوعة من التغيير وكل التبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها، ويزاد عليها ما ليس منها. والحكمة من هذا؛ لأنها تمنع صاحبها من الجهل، ويقال: أحكم الشيء إذا أتقنه ومنعه من الخروج عما يريد، فهو محكم وحكيم على التكثير[6].

والحَكَمَةُ: ما أحاط بحنكي الفرس، سميت بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجماح، ومن كثير من الجهل، ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل[7].

والحُكْمُ: هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه، وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعته عما يريد[8]

ومما تقدم يتضح ويتبين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معان تتضمن معنى المنع ، فالعدل: يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم، والحلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب ، والعلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل ، والنّبوة، والقرآن، والإنجيل: فالنبي إنما بعث لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح.

---

[1]- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى 817هـ، باب الميم، فصل الحاء، ص1415، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء12 / 143، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص62.

[2]- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة حكم 1 / 119، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، 12 / 140، والمعجم الوسيط، مادة: حكم: 1 / 190.

[3]- انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، 12 / 143، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص 62.

[4]- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة: حكم 1 / 419.

[5]- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، كتاب الحاء، مادة: حكم ص 127.

[6]- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1 / 288 بتصرف .

[7]- انظر: المصباح المنير لأحمد بن محمدا لفيومي، المتوفى سنة 770هـ،مادة: الحكم، 1 / 145،وتاجالعروس 8 / 253.

[8]- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس 2 / 91، باب الحاء والكاف، مادة: حكم.

ومن فسر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن المعرفة الصحيحة فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه"[1،2]

المطلب الثاني مفهوم الحكمة اصطلاحا:

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة؛ النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهة، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولًا في تعريف الحكمة ، وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه. فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح ،

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو: " الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه "

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف، لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيّن الحكمة، يعني: أنه لبين الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهمٍ منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهمًا، خاشيًا لله، فقيهًا عالما، عاملا بعلمه، ورعًا في دينه. . . والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مسددون، متفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور[3].

المبحث الثاني: نماذج من الحكمة النبوية فى السِلم

لاشك أن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم فى السِلم تشمل حيزاً كبيرا من عموم حكمته صلى الله عليه وسلم ، مما كان له الأثر الكبير في حياة الأمة وهدايتها ، لذا سوف نذكر بعضا من هذه الحكمة فى هذا المبحث وأرجو من الله التوفيق والسداد.

المطلب الأول: إخفاء بعض أنواع البر ليجتهد الناس فى طلبها:

فلنأخذ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان[4]

ففي هذا الحديث: بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإيمان شعب كثيرة بضع وستون أو بضع وسبعون ولم يبينها الرسول عليه الصلاة والسلام لأجل أن يجتهد الإنسان بنفسه ويتتبع نصوص الكتاب والسنة حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها، ومثل هذا كثير أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص، فمثلا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان[5] أو في السبع الأواخر من رمضان[1] لكن لا تعلم في أي ليلة هي من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي

---

[1]- مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية 2 / 7.

[2]- انظر الحكمة في الدعوة الى الله ، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ، وزارة الأوقاف ، السعودية ، ط أولى 1423هـ ، ص24

[3]- انظر الحكمة فى الدعوة الى الله ، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ، وزارة الأوقاف ، السعودية ، ط أولى 1423هـ ، ص26-28 بتصرف.

[4]- اخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان ، 63/1ح58 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5]- اخرجه البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب التماس ليلة القدر فى السبع الاواخر ، 46/3 ح2016عن ابى سعيد الخدري ،

رجاء هذه الليلة ولو علمت بعينها لاجتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله إلا أعطاه إياه[2] هذه أيضا مبهمة من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل، كذلك في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له كذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: أن لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة[3] ولم يعدها والحديث الوارد في سردها حديث ضعيف لا تقوم به حجة، وعلى هذا فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة[4] ترك تعيينها من أجل أن نحرص نحن على تتبعها في الكتاب والسنة حتى نجمع هذه الشعب ثم نقوم بالعمل بها وهذا من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الشعب أفضلها أو أعلاها قول لا إله إلا الله هذه الكلمة العظيمة لو وزنت بالسموات السبع والأرضين السبع وجميع المخلوقات لرجحت بهن لأنها أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد التي إذا قالها الإنسان صار مسلما وإذا استكبر عنها صار كافرا فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، ولذلك كانت أعلى شعب الإيمان وأفضلها لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل فكل المعبودات من دون الله باطلة إلا عبادة الله وحده لا شريك له فهو الحق كما قال الله تبارك وتعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)[5]،[6].

المطلب الثاني :أخذه للذي بال في المسجد بالحسنى والنهى عن ضربه:

ومن ما ورد فى ذلك حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَصَلَّى، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا»، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ» أَوْ قَالَ: «ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ»[7]

وقد بين العلماء سبب نهيه لهم عن أن يقطعوا عليه بوله؛ وذلك أنه لا شك سيشق عليه قطع بوله، إذا كان قد بال بعض البول ثم قام قبل أن يكمله شق ذلك عليه، وأيضاً من الأسباب: أنه قد يتلوث المسجد وتنتشر النجاسة، فلو قام وهو يبول لوقع البول في أكثر من موضع، بخلاف ما إذا ترك حتى ينتهي، فإن البول يكون في موضع واحد ويمكن إزالته، أما لو قام فإنه سيتقاطر من هنا ومن هنا، وهكذا لو قام قبل أن يتكامل بوله لتنجس جسده ولتنجسن ثيابه، ولكن من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ومما أعطاه الله تعالى من الرفق ومن التيسير أن تركه إلى أن انتهى من بوله، فعند ذلك أمرهم بأن يصبوا عليه ماءً، فصب على ذلك البول حتى زال أثره، وذلك بالمكاثرة .

وفي هذا الحديث يظهر رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليهم وحرصه على التأليف وعدم الإيذاء؛ وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[8].

وهذا من مواطن الحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فالنبي عليه الصلاة السلام قد قدم هنا مفسدة صغرى على مفسدة كبرى , فإن هذا الأعرابي قد جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فربما يكون حديث عهد بإسلام فإنه حينئذ قد يكون زجره مبعداً له عن الإسلام وقد يكون هذا الأعرابي قد بال وتكاثر بوله فإنه حينئذ إذا حمل فإن البول سينتشر والنبي – صلى الله عليه وسلم – نهاهم عن

---

[1]- اخرجه البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب التماس ليلة القدر فى السبع الاواخر ، 46/3ح2015عن عبد الله بن عمر .

[2]- اخرجه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب في الساعة التى فى يوم الجمعة ، 583/2ح852عن عن ابى هريرة رضى الله عنه .

[3]- أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب لله مائة اسم غير واحد ، 87/8ح6410عن أبى هريرة رضى الله عنه .

[4]- اخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان ، 63/1ح58 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] - سورة الحج الآية (62).

[6]- انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار الوطن الرياض ، 1426هـ، 4/26-28 ح683 .

[7]- اخرجه ابو داود ، كتاب الطهارة ، باب الارض يصيبها البول ، 103/1ح380، والترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، 216/1، ح148، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[8]- انظر شرح عمدة الأحكام لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين ، 11/4

ذلك وتركوه حتى قضى حاجته لكي لا ينتشر البول وهذه من حكمة النبي – صلى الله عليه وسلم – ونظره – صلى الله عليه وسلم – للغايات والوسائل معا[1].

المطلب الثالث: مراعاة حال السائلين وإجابتهم بما هو خيرا لهم:

قلت: لاشك أن من صميم حكمته صلى الله عليه وسلم مراعاة حال السائلين له فيجيبهم بما هو خيرا لهم ، إذ أنه كان يقدر ذلك حسبما أعطاه الله له من فراسة، لذلك كانت إجاباته زاخرة بمصالح العباد ، مما كان له الأثر الطيب فى نفوسهم ، فكان نتاجها ثباتا عظيما على الإسلام ، وحبا كثيرا لله ورسوله ، وتضحيات جسام لأجل بقاء راية الإسلام ، هذه التضحيات بلغت درجة التضحية بالنفس والمال والولد.

فلنأخذ من ذلك إجابته للذي قال له: يا رسول الله أوصِني ، قال : ((لا تَغْضَبْ)) فردَّد مِراراً قال : ((لا تَغْضَبْ))[2]، فكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يوصيه وصايا أخرى كثيرة ، كأن يقول له بر والديك ، أو إلزم الطاعات واجتنب المعاصي ، إلى آخره ، ولكنه اختار نهيه عن الغضب لأنه بعد دراسة حالته علم إنه شديد الغضب وشديد الانفعال ، لذلك اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الإجابة الأصلح له ، وهى نهيه عن الغضب ، ومن ذلك إجابته للذي قال: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»[3]، ولعل هذا السائل حديث عهد بالإسلام ، فهو لم يستقم بعد على طريقة الإسلام ، فإن أجابه بما يزكى نفسه من صدقات وصلة رحم وحسن خلق وغيرها من أنواع البر ، فإنها لا تصلح حاله ، و لا تشفى غليله مع عدم ثبات العقيدة الصحيحة فى قلبه ، لذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجابه بالتزام العقيدة أولاً ، والتي بنى عليها الإسلام ، وهى عبادة الله وحده ، وان من عبد الله وحده آمن برسوله ، وأمره بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، ولم يذكر الحج قيل لأنه مشروط بالاستطاعة ، ولأن هذا السائل حديث عهد بالإسلام قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، ومع ذلك بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وإنها بشارة يصبو إليها كل إنسان ، ذلك لأن من حكمته صلى الله عليه وسلم ، إرشاد الناس إلى ما هو خيرا لهم فى الدنيا والآخرة ، وكذلك أجاب الذى قال له دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»[4]، فإن هذا السائل تمكن الإيمان فى قلبه ووقر ، فلا حاجة إلى إجابته ، بما هو ملازم له ومداوم عليه ، فلا فائدة من إجابته بإقامة الصلاة والصوم والحج والصدقة وغيرها من أعمال الإسلام الأولية ، لذلك أجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قد يكون غافلاً عنه مع أنه فيه ما فيه من الثواب العظيم والخير الكثير ، وهذا من كمال تدبيره وصائب تفكيره الذى قاد به الأُمة وأخرجها من غياهب الظلمات إلى رحاب الجنات .

قال القرطبى بعد ذكر حديث ابْن مَسْعُود، سَأَلْتُ الرسول، – صلى الله عليه وسلم – قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا » ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: « ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » ، قُلْتُ: ثُمَّ أَىٌّ؟ قَالَ: « الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ » ، فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِى))[5]، معنى حديث ابن مسعود أن الصلاة المفروضة وبر الوالدين والجهاد فى سبيل الله أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، وذلك أن من ضيع الصلاة المفروضة، حتى خرج وقتها لغير عذر مع قدرته مع خفة مؤنتها وعظم فضلها فهو لا شك لغيرها من أمر الدين والإسلام أشد تضيعاَ، وبه أشد تهاوناَ واستخفافاَ، وكذلك من ترك بر والديه وضيع حقوقهما مع عظيم حقهما عليه بتربيتهما إياه، وتقطعهما عليه، ورفقهما به صغيرًا وإحسانهما إليه كثيراَ، وخالف أمر الله ووصيته إياه

[1]- انظر شرح بلوغ المرام ، لعبد العزيز بن مرزوق الطريفى ، 74/1 .
[2]- أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، 28/8ح6116 .
[3]- أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان الذى يدخل به الجنة ، 44/1ح15 .
[4]- أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ، 2021/4 ح2618 عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.
[5]- أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد ، 14/4ح2782 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فيهما، فهو لغير ذلك من حقوق الله أشد تضييعًا، وكذلك من ترك جهاد أعداء الله، وخالف أمره فى قتالهم مع كفرهم بالله ومنا صبتهم أنبياءه وأولياءه للحرب، فهو لجهاد من دونهم من فساق أهل التوحيد ومحاربة من سواهم من أهل الزيغ والنفاق أشد تركًا، فهذه الأمور الثلاثة تجمع المحافظة عليهن الدلالة لمن حفظهن أنه محافظ على ما سواهن، ويجمع تضييعهن الدلالة على تضييع ما سواهن من أمر الدين والإسلام فلذلك خصهن – صلى الله عليه وسلم – بأنهن أفضل الأعمال[1].

المطلب الرابع: رد من هم بالزنا إلى رشده:

ومن ذلك ما رواه احمد عن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: « إن فتى شابا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك ؟ قال: لا والله!! –جعلني الله فداك– قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك ؟ قال: لا والله!! يا رسول الله –جعلني الله فداك– قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله!! –جعلني الله فداك– قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله!! –جعلني الله فداك– قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله!! –جعلني الله فداك–، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[2].

قلت: أنظر كيف تكون النتيجة لو أنه صلى الله عليه وسلم زجره وغلظ فى رده ، إذاً لأخذت هذا الشاب العزة بالإثم ، ولتتمادى فى معصيته ، ولكن رسول الله صلى الله عليه القدوة الحسنة ، ذو الخلق العظيم ، الممسك بزمام الحكمة أينما ذهبت ، رده رداً حرك به كوامن فطرته السليمة ، التى فطر الله الناس عليها ، وحرك به جميل طبعه على المجتمع ، لذلك كانت النتيجة أن إهتدى هذا الشاب إلى دين الإسلام ، وأصبح من عباد الله المتقين ، وهذا الأسلوب الحكيم يفتقره كثيرا من الدعاة اليوم ، فتجد الداعية ينصرف إلى أساليب منفره للمدعوين عن دين الإسلام، كالزجر، والنهر، والإساءة أحياناً ، فيعتقد الجهلة من الناس ، أن هذه الأساليب هى عين الإسلام فينفر عنه ، ولاشك أن الأسلوب الحكيم دخل به أناس كثير فى الإسلام.

أُنظر إلى تعامله صلى الله عليه وسلم مع ماعز والمرأة الغامدية الذين زنيا ، فقد روى البخارى ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَبِكَ جُنُونٌ» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ أَحْصَنْتَ» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ»[3] ، ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَ: «آنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ» ، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ» ، فَقَالَ: «إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ» ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا[4] .

فهذا مما خص به الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من التدبير الحكيم ، والتصرف السديد ، فنلاحظ إنه لم يرجم ماعزاً بمجرد إقراره الأولى ، وإنما تحرى معه حتى يعلم ما إذا كان بالرجل جنون أم لا ، وكذلك أعرض عنه حتى شهد على نفسه أربع شهادات ، كل ذلك ليتبين جلية الأمر لأنه أصبح فى مقام القاضى ، ليحكم بعد علم وإحاطة بكل حيثيات القضية ، وهو الذى علمنا أن نحكم بعد أن

[1]- انظر شرح ابن بطال على صحيح البخاري ، 5/9 .

[2]- أخرجه احمد ، 545/36 عن أبى أمامة بتحقيق شعيب أرناؤوط وعادل مرشد، وهو صحيح الإسناد ورواته ثقات.

[3]- أخرجه البخاري ، كتاب الحدود ، باب لا يرجم المجنون والمجنونة ، ح6815 عن أبى هريرة ، ومسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، ح1691 عنه .

[4]- أخرجه مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، ح1695 عن سليمان بن بريدة عن أبيه .

نعلم كما روى عنه عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ "،[1]وكذلك لم يرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة الغامدية من أول وهلة ، وإنما قال لها توبي إلى الله واستغفري ، فلما رفضت إلا أن يقام عليها الحد ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها حبلى ، ردها لتضع حملها ، ثم لما وضعت حملها رجمها ، وأخبر بتوبتها النصوح التي لو وزعت على أمة لوسعتها ، وقبلها أخبر بتوبة ماعز ، فهذا هو الأسلوب الحق الذى يجب على كل داعية إلى الله وكل راعٍ أن يسلكه ، لأن فيه الخير كل الخير ، والنجاح والفلاح.

قال الإمام النووى : فى الحديث (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي إِلَى آخِرِهِ) وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ الْغَامِدِيَّةِ قَالَتْ طَهِّرْنِي قَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَدَّ يُكَفِّرُ ذَنْبَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي حُدَّ لَهَا وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَلَا نَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى سُقُوطِ إِثْمِ الْمَعَاصِي الْكَبَائِرِ بِالتَّوْبَةِ وَهُوَ بِإِجْمَاعِ المسلمين إلا ما قدمناه عن ابن عَبَّاسٍ فِي تَوْبَةِ الْقَاتِلِ خَاصَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنْ قِيلَ فَمَا بَالُ مَاعِزٍ وَالْغَامِدِيَّةِ لَمْ يَقْنَعَا بِالتَّوْبَةِ وَهِيَ مُحَصِّلَةٌ لِغَرَضِهِمَا وَهُوَ سُقُوطُ الْإِثْمِ بَلْ أَصَرَّا عَلَى الْإِقْرَارِ وَاخْتَارَا الرَّجْمَ فَالْجَوَابُ أَنَّ تَحْصِيلَ الْبَرَاءَةِ بِالْحُدُودِ وَسُقُوطِ الْإِثْمِ مُتَيَقَّنٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا سِيَّمَا وَإِقَامَةُ الْحَدِّ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا التَّوْبَةُ فَيُخَافُ أَنْ لَا تَكُونَ نَصُوحًا وَأَنْ يُخِلَّ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُوطِهَا فَتَبْقَى الْمَعْصِيَةُ وَإِثْمُهَا دَائِمًا عَلَيْهِ فَأَرَادَا حُصُولَ الْبَرَاءَةِ بِطَرِيقٍ مُتَيَقَّنٍ دُونَ مَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ احْتِمَالٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[2].

المبحث الثالث: نماذج من الحكمة النبوية فى الحرب:

مثل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتزم الحكمة فى السِلم ، وفى أحواله كلها ، كذلك كان فى حروبة على درجة كبيرة من التدبير الحكيم ، والتخطيط السليم ، الأمر الذى جعل المسلمين ينتصرون فى حروبهم مع الكفار إلا نادراً ، ويفتحون مشارق الأرض ومغاربها ، ويُدخِلون الناس فى دين الله أفواجاً ، لذلك سوف نستعرض طائفة من هذه التدابير الحكيمة ، لعلنا نقتدى بها فى حياتنا، ونتشبه بمن مضى من أسلافنا.

المطلب الأول: حكمته فى التعامل مع الأعرابى الذى هم بقتله فى غزوة من غزواته.

روى البخاري البخارى عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاه[3]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ[4] فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]، وفى رواية أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أخذ السيف وقام عليه وقال: من يمنعك منى الآن؟ قال: لا أحد، وقال كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فقال: أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، والله لا أجمع الناس لحربك أبدا، فدفع

---

[1]- اخرجه أبو داؤود ، كتاب القضاء ، باب فى القاضي يخطئ ، ح3573 عن ابن بريدة عن أبيه قال أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا أَصَحُّ شَيْءٍ فِيهِ يَعْنِي حَدِيثَ ابْنِ بُرَيْدَةَ الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ.

[2]- أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، 199/11 .

[3]- العضاة كالشجر لَهُ شوك مثل الطلح وَالسّلم والسمر والسدر، انظر غريبا حديث ابن قتيبة (1/ 273).

[4]- السمر شجر الطلح واحدته سمرة انظر تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: 394).

[5]- أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ، ح4135 عن جار بلفظه .

النبي صلّى الله عليه وسلم اليه سيفه فقال دعثور[1] والله انك لخير مني، ورجع الى قومه فقالوا له: أين ما كنت تقول وقد مكنك الله منه؟ فقال:إني نظرت الى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري فسقط السيف، فعرفت إنه ملك وأن محمدا رسول الله[2].

قلت: فهذا من أروع مايقال في هذا الباب ، وهذا مما يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، في سائر دعوته لم يكن يسعى للانتصار لنفسه ، وإنما همه هو دخول الناس في دين الله ، ويقولوا لا إله إلا الله حتى يفلحوا ، وكان هذا منهجه في سائر دعوته ، ولكن لو كانت هذه الحادثة في يومنا هذا ، لعجز عن التعامل معها أعظم دعاتنا ، وما ذلك إلا لانشغالهم بالنفس ، وتقديم مصالحهم على سائر المصالح وإن كانت دينية.

قال الإمام النووي: في الحديث بَيَانُ تَوَكُّلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اللَّهِ، وَعِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وَفِيهِ جَوَازُ الِاسْتِظْلَالِ بِأَشْجَارِ الْبَوَادِي، وَتَعْلِيقِ السِّلَاحِ وغيره فيها، وجوازا المن عَلَى الْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ وَإِطْلَاقِهِ، وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ وَمُقَابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ[3].

المطلب الثاني : حكمته صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر:

قلت: غزوة بدر وقعت في رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وكان عدد المسلمين فيها ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً ، بينما كان عدد المشركين يزيد عن الألف مقاتل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع المسلمين لاعتراض عير لقريش ، فخرج المشركون ليحرزوا عيرهم ويمنعوها ، ولما نجت العير أبى المشركون الرجوع إلا بعد قتال المسلمين ، فدارت المعركة ، وفيها أيد الله المسلمين بإنزال الملائكة تقاتل معهم، فكان النصر العظيم ، الذى أعاد الهيبة والسمعة للمسلمين في سائر أنحاء الجزيرة العربية، وكان لتدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكيم ، وتصرفه السليم ، أثر كبير في تحقيق هذا النصر ، بعد الله سبحانه وتعالى ، ومن هذه التدابير ما نقله المباركفوري: أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن علم بنجاة عير المشركين ، وخروج المشركين وعزمهم على القتال استشار الصحابة في الأمر فبعد أن نقلت استخبارات جيش المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير والنفير ، وتأكد لديه أنه لم يبق مجالاً للاجتناب اللقاء الدامى ، وأنه لابد من إقدام يبنى على الشجاعة ، فمما لاشك فيه أنه لو ترك جيش مكة يجوس خلال تلك المنطقة ، يكون ذلك تدعيماً لمكانة قريش العسكرية ، وامتدادا لسلطانها السياسي ، وإضعافاً لكلمة المسلمين ، وتوهيناً لها ، بل ربما بقى الإسلام بعد ذلك جسداً لاروح فيه ، ويجرؤ على الشر كل من فيه حقد أو غيظ على المسلمين في هذه المنطقة .

ونظراً الى هذا التطور الخطير المفاجئ عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً عسكرياً إستشارياً أعلى ، أشار فيه الى الوضع الراهن ، وتبادل فيه الرأى مع عامة جيشة وقادته ، فقام ابوبكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله ،امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) سورة المائدة ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى برك الغماد[4] لجادلنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له به .

وهؤلاء القادة الثلاثة من المهاجرين ، وهم أقلية في الجيش ، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف رأى قادة الأنصار ، لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش ، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم ، فقال بعد سماع كلام هؤلاء الثلاثة (أشيروا عليَّ أيها الناس) ، وإنما يريد الأنصار ، وفطن لذلك قائد الأنصار وامل لوائهم سعد بن معاذ ، فقال: والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال: أجل ، قال: فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض

---

[1]- اسم الرجل الذى أراد أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم .

[2]- أنظر تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، لحسين بن محمد بن الحسن الدَيار بكرى ، دار صادر ، بيروت ج1ص415 .

[3]- أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، 44/15 .

[4]- برك الغماد : تفتح الباء وتكسروتضم الغين وتكسر، وهو اسم موضع باليمن ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، تحقيق طاهر احمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى ، 306/1 .

يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ، ونكره أن تلق بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا مات قر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم[1].

قال الدكتور البوطى عندما نتأمل كيف يجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى أصحابه ليشاورهم في الأمر الذي فوجئوا به بعد أن أفلتت منهم العير وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل، نقف على دلالتين شرعيتين لكل منهما أهمية بالغة:

الدلالة الأولى: التزامه صلّى الله عليه وسلم بمبدأ التشاور مع أصحابه، وإذا استعرضنا حياته صلّى الله عليه وسلم، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية.

الدلالة الثانية: خضوع حالات الغزو والمعاهدات والصلح بين المسلمين وغيرهم لما يسمى بالسياسة الشرعية أو ما يسميه بعضهم ب (حكم الإمامة) . وبيان ذلك أن مشروعية فرض الجهاد من حيث الأصل، حكم تبليغي لا يخضع لأي نسخ أو تبديل، كما أن أصل مشروعية الصلح والمعاهدات ثابت لا يجوز إبطاله أو اجتثاثه من أحكام الشريعة الإسلامية. غير أن جزئيات الصور التطبيقية المختلفة لذلك، تخضع لظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم، والميزان المحكم في ذلك إنما هو بصيرة الإمام المتدين العادل وسياسة الحاكم المتبحر في أحكام الدين مع إخلاص في الدين وتجرد في القصد، إلى جانب اعتماد دائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم المختلفة.

فإذا رأى الحاكم أنّ من الخير للمسلمين أن لا يجابهوا أعداءهم بالحرب والقوة، وتثبّت من صلاحية رأيه بالتشاور والمذاكرة في ذلك، فله أن يجنح إلى سلم معهم لا يصادم نصّا من النصوص الشرعية الثابتة، ريثما يأتي الظرف المناسب والملائم للقتال والجهاد. وله أن يحمل رعيته على القتال والدفع إذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب[2].

ومن ذلك أنه قام صلى الله عليه وسلم بعمليات استكشاف مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فطافوا حول معسكر مكة ، فوجدوا شيخا من العرب ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ومحمد وأصحابه ، ولكن الشيخ قال: لاأخبركما حتى تخبرانى من اين أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك ، قال: اوذاك بذاك؟ قال: نعم ، قال الشيخ: فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبرني، فإنهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذى فيه جيش مكة ، ولما فرغ الشيخ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء ، ثم إنصرفا عنه ، وبقي الشيخ يتفوه: مامن ماء؟ أمن ماء العراق؟.

وفى مساء ذلك اليوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من قادة المهاجرين ، هم علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، فى نفر من أصحابه ، ذهبوا الى ماء بدر فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة ، فألقوا عليهما القبض ، وجاؤا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة ، ولما فرغ من صلاته خاطب الغلامين قائلا:(أخبرانى عن قريش) ، قالا: هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما: كم القوم؟ قالا: كثير، قال: ماعدتهم؟ قالا: لاندرى ، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم فيما بين التسعمائة الى الالف ، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابوالبخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن

[1]- الرحيق المختوم ، لصفى الرحمن المباركفورى ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ، مصر ، الطبعة 19 ، 1428هـ 2007م.
[2]- أنظر فقه السيرة للبوطى ص159-161 .

عامر، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الاسود ، وابوجهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، فى رجال سمياهم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها[1]

قلت: وهذا يدلنا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ، وسائر أمره، لم يكن يوماً يركن إلى قدر الله دون الأخذ بالأسباب ، ففى هذه الغزوة ، وبعد أن تبين له أنه مجابه بحرب من المشركين ، نظم جيشه على قلته ، وكتَب الكتائب ، وإختار القادة ، وأرسل العيون لتأتيه بالأخبار ، بل ذهب هو وصاحبه أبى بكر للإستطلاع عن أخبار المشركين ، فلم يكن يوماً يركن إلى أريكته ويستريح ويقول الله ناصرى ، ولايدع نافلة العبادة ويقول الله غفر لى ، ولايدع حياة الكدح ويقول الله رازقى، بل كان يسعى فى أموره كلها آخذاً بالأسباب ، ثم يتوكل على الله ، كما أن ثمة أمر آخر يرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملته للغلامين الأسيرين ، فقد نهى عن ضربهما ، وسألهما بحكمة عن أخبار جيش العدو ، وهذا فيه مافيه من معاملة الأسرى الطيبة ، والرفق بهم ، ولايخفى علينا أن هذه المعاملة قادة كثيراً منهم إلى الدخول فى الإسلام.

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهم المراكز العسكرية وإتخذ مقر للقيادة وعبأ الجيش ، بعد أن حصل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهم المعلومات عن جيش المشركين ، تحرك بالجيش ليسبق المشركين الى ماء بدر ويحول بينهم وبين الإستيلاء عليه ، فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر ، وهنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكرى وقال: يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولانتأخر عنه؟ أم هو الحرب والرأى والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأى والمكيدة ، قال: يارسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ونغور ماوراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً ، فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولايشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأى ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو ، فنزل عليه شطر الليل ، ثم صنعوا الحياض وغوروا ماعداها من القلب[2] .

ثم إقترح سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى له عريشاً يكون فيه حيث قال: يارسول الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ، ثم تلقى عدونا ، فإن أظهرنا الله على عدونا فنعمت ، وإلا لحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوماً مانحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ، ماتخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ، وبنى المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً يقع فى الشمال الشرقى لميدان القتال ، ويشرف على ساحة المعركة ، كما تم إختيار فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ ، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ثم عبأ رسو ل الله صلى الله عليه وسلم الجيش ، وبث فيهم روح القتال ، اذ مشى فى موضع المعركة ، وجعل يشير بيده ويقول: (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله)[4] ، وبات المسلمون ليلة هادئة ، غمرت الثقة قلوبهم ، ثم أنزل الله عليهم قرآناً يتلى ، فيه مافيه من التأييد لهم ، وتثبيت الأقدام ، وإذهاب رجز الشيطان ، قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (11) ، سورة الأنفال الاية 11)[5].

---

[1]- السيرة النبوية لإبن هشام ، 162/3 ، وتاريخ الامم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى 1407هـ ، 21/2- 22 بتصرف .

[2]- - أنظر السيرة النبوية لابن هشام ، 167/3 ، والبداية والنهاية لإبن كثير، 267/3 ،

[3]- انظر عيون الأثر فى فنون المغازى والشائل والسير ، لمحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1406هـ -1986م .

[4]- اخرجه مسلم ، 51 كتاب الجنة ، 17 باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه ، 2202/4 حديث رقم 2873 .

[5]- - انظر الرحيق المختوم ، مرجع سابق ، ص 195-196 .

قلت : إن العبرة التى نعتبر بها فى مسألة تعبئة الصفوف ، هى إن القائد الناجح ، هو الذى يقف مع جنوده بنفسه ، ويشرف على جهازهم ، وعدتهم وعتادهم ، لأن ذلك يشحذ هممهم ، ويقوى معنوياتهم ، ويجعلهم أكثر إستعداداً للمواجهة ، إذ أن القائد بمثابة رب الأمر ، فإنك إن أوكلت إلى أحد العمال عملاً وبدأت تراقبه لاشك إنه سيتقنه ، بخلاف لو أنك تركته لوحده ، وليس من صفات القائد الناجح أن يدير المعركة من قصره ، او من أريكته التى يستظل بها .

قال الدكتور البوطى: ويدلنا الحديث الذي جرى بين رسول الله صلّى الله عليه وسلم والحباب بن المنذر في شأن المكان الذي نزل فيه (وهو حديث صحيح الإسناد كما رأيت) أن تصرفات النّبي صلّى الله عليه وسلم ليست كلها من نوع التشريع، بل هو في كثير من الأحيان يتصرف من حيث إنه بشر من الناس يفكر ويدبر كما يفكر غيره، ولا ريب أننا لسنا ملزمين باتباعه في مثل هذه التصرفات، فمن ذلك نزوله عليه الصلاة والسلام في المكان الذي اختاره في هذه الغزوة. فقد وجدنا كيف أن الحباب أشار بالتحول عنه إلى غيره ووافقه عليه الصلاة والسلام في ذلك، وذلك بعد أن استوثق الحباب رضي الله عنه أن اختيار النّبي صلّى الله عليه وسلم لذلك المكان ليس بوحي من عند الله.

ومن ذلك كثير من تصرفاته التي تدخل تحت السياسة الشرعية والتي يتصرف فيها النّبي صلّى الله عليه وسلم من حيث إنه إمام ورئيس دولة لا من حيث إنه رسول يبلغ عن الله تعالى، مثل كثير من عطاءاته وتدابيره العسكرية. وللفقهاء تفصيل واسع في هذا البحث، لا مجال لعرضه في هذا المقام.

لقد رأينا أن النّبي صلّى الله عليه وسلم كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: «هذا مصرع فلان» ، ولقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فما تزحزح أحد في مقتله عن موضع يده كما ورد في الحديث الصحيح.

ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له، يحأر إلى الله تعالى داعيا ومتضرعا، باسطا كفيه إلى السماء يناشد الله عزّ وجلّ أن يؤتيه نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر، والتزمه قائلا: «كفى يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعد» . فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: «لكأني أنظر إلى مصارع القوم» ، وأنه حدّد مصارع بعضهم على الأرض؟

والجواب؛ أن اطمئنان النّبي صلّى الله عليه وسلم وإيمانه بالنصر، إنما كان تصديقا منه للوعد الذي وعد الله به رسوله، ولا شك أن الله لا يخلف الميعاد، وربما أوحي إليه بخبر النصر في تلك الموقعة.

أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال.

لقد كانت نتيجة العبودية والخضوع لله تعالى، عزة قعساء ومجدا شامخا خضع لهما جبين الدنيا بأسرها، ولقد كانت نتيجة الطغيان والجبروت الزائفين قبرا من الضيعة والهوان أقيم لأربابهما حيث كانوا سيتساقون فيه الخمر وتعزف عليهم القيان. وتلك هي سنة الله في الكون كلما تلاقت عبودية لله خالصة مع جبروت وطغيان زائفين[1].

المطلب الثالث: حكمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد:

بعد أن خسر المشركون غزوة بدر ، وفقدوا عددا كبيرا من أشرافهم وزعمائهم ، كانت تجيش فيهم نزعة الثأر والانتقام ، فقرروا شن حرب شاملة ضد المسلمين ، وأخذوا فى الاستعداد لخوض هذه المعركة ، وأول مافعلوه فى هذا الصدد أنهم أقنعوا أصحاب العير التى كانت سبباً لغزوة بدر ونجا بها ابو سفيان ، أقنعوهم على أن ينفقوا كل ما فى العير لحرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فوافقوا على ذلك، وأنزل الله في ذلك {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى

[1]- أنظر فقه السيرة للبوطى ، ص 161-163 .

جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }[1]،[2]، ثم إنهم أغروا الشعراء على القيام بتحريض القبائل ضد المسلمين ، ولما إستدارت السنة أى فى شوال من السنة الثالثة ، كانت مكة قد إستكملت عدتها ، وأوكلت أمر القيادة العامة للجيش لأبى سفيان بن حرب ، وتحركوا نحو المدينة الى أن عسكروا قريباً من جبل أُحد ، وكان جيش المدينة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج لملاقاة المشركين ، وكان عددهم سبعمائة مقاتل ، بعد إنسحاب المنافق إبن أُبى بثلث الجيش ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش الإسلامى إلى أن نزل الشِّعَب من جبل أُحد فى عدوة الوادى ، فعسكر هناك مستقبلاً المدينة ، جاعلاً ظهره الى هضاب جبل أُحد ، وبهذا الوضع أصبح جيش المشركين فاصلاً بين المسلمين والمدينة ، ودارت المعركة بين الجانبين ، وكانت الغلبة فى أولها للمسلمين ، ثم لما ترك الرماة أماكنهم على جبل الرماة إستقل ذلك خالد بن الوليد ، فهجم على المسلمين من على الجبل ، فلقى المسلمين خسائر كبيرة ، لذلك يمكن القول إن هذه الغزوة لم تنتهى بفوز أو خسارة لأحد الفريقين ، بل أن كلا الفريقين نال حظه من الفوز والخسارة ، فأول الأمر فاز وإنتصر المسلمون ، وفى آخره الحق المشركون الخسائر الفادحة بالمسلمين، لكن لم يكن هناك أسر أو مطاردة كما العادة فى الحروب التى تنتهى بنصر محقق[3]

ومما قام به صلى الله عليه وسلم من تدبير حكيم فى هذه الغزوة ، أنه بعد أن أتاه خبر تحرك جيش المشركين ونزوله قرب أحد ، عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً إستشارياً عسكرياً أعلى تبادل فيه الرأى لإختيار الموقف ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه إلى صحابته ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها ، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت ، ووافق على هذا الرأى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ليتمكن عن التباعد عن القتال دون أن يعلم به أحد ، ولكن الله فضحه هو وأصحابه أمام المسلمين لأول مرة .

فقد بادر جماعة من فضلاء الصحابه ممن فاته الخروج يوم بدر ومن غيرهم فأشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج وألحوا عليه فى ذلك حتى قال قائلهم: يارسول الله كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله ، فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير ، إخرج الى أعدائنا ، لايرون أنَا جبنا عنهم ، وكان فى مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال للنبى صلى الله عليه وسلم: والذى أنزل عليك الكتاب لأطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة .

وتنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رأيه مراعاة لهؤلاء المتحمسين ، وإستقر الرأى على الخروج من المدينة ، واللقاء فى الميدان السافر[4].

قلت: هذه المشورة التى عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن نأخذ منها العبر والدروس التالية .

1. إن الشورى كانت ديدن رسو الله صلى الله عليه وسلم فى أمره كله ، وخاصةً عندما يريد أن يغزو قوماً ، وكان صلى الله عليه وسلم يميل إلى الرأى الذى يراه يحقق مصالح المسلمين ، وإن كان على خلافه ، مالم يكن وحياً ، وقد تقدم الحديث عن هذه المسألة بتفصيل فى هذا البحث.
2. إن الشباب هم عماد الأمور فى السلم والحرب ، ففى السلم هم سواعد تبنى، وعقول تفكر ، وتخترع ، وفى الحرب هم الركيزة التى تدور عليها رحى الحرب ، وهم الذين يعتد برأيهم ، لأن المعارك تدور رحاها عليهم ، لذلك لما أشار شباب الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لمناجزة الكفار خارج أسوار المدينة فى غزوة أحد ، قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيهم ، ودارت معركة أحد خارج أسوار المدينة كما أشار شباب الصحابة.

[1] - سورة الأنفال الآية (36).
[2]- أنظر السيرة النبوية لإبن هشام ، 60/2 ، وسبل الهدى والرشاد ، 182/4 .
[3]- أنظر الرحيق المختوم ص 225-230 بتصرف .
[4]-أنظر السيرة الحلبية 14/2 ، وزاد المعاد 172/3 .

3. إن المنافقين لم يكونوا يشيرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر مالم يتحققوا من ضمان دورهم السلبى فيه ، لذلك لما أشار المنافق عبد الله بن أبى سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يكون القتال داخل المدينة ، ليس ذلك لإن هذا الرأى هو الصواب من الوجهة العسكرية ، وإنما قال ذلك حتى يتمكن من الباعد عن القتال عندما تدور المعركة دون أن يعلم به أحد ، وعلى النقيض تماماً فإن أفاضل المسلمين لم يشيروا على رسو الله صلى الله عليه وسلم بأمر إلا لأنهم رأوا فيه المصلحة للمسلمين عاجلاً أو آجلاً، فلما أشار الصحابة الكرام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لمقابلة القوم خارج المدينة ، كان ذلك طمعاً منهم فى جنة عرضها السموات والأرض ، كما وعد بذلك ربنا فى قوله (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]

قال الدكتور البوطى: يتجلى فى هذه الغزوة المبدأ الذي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يأخذ به نفسه، وهو التزام التشاور مع أصحابه في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث. ولكنا نقف هنا على فارق واحد لم نجده في المشاورة التي تمّت قبيل غزوة بدر. فقد لاحظنا أنه عليه الصلاة والسلام لم يشأ أن يعود عن موافقته لأصحابه الذين اقترحوا الخروج للقاء العدو خارج المدينة، بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال، على الرغم من أنهم ندموا وعادوا عن رأيهم ورجوه البقاء إذا كان يرى ذلك. وربما كان النّبي صلّى الله عليه وسلم يميل- أو يظهر الميل- عند التشاور إلى البقاء في المدينة.

ولعل الحكمة الجلية في هذا، أن البحث في الأمر بعد أخذ العدة للقتال، وبعد ظهور النّبي صلّى الله عليه وسلم في قومه وأصحابه لابسا دروعه آخذا سلاحه، شيء خارج عن حدود ما يقتضيه مبدأ التشاور خصوصا في القضايا الحربية التي تحتاج- مع المشورة- إلى قدر كبير من الحزم والعزم. ثم إن المعنى الذي قد يتولد عن تقاعسه صلّى الله عليه وسلم عن الخروج بعد أن طلع عليهم مستعدا لذلك، إنما هو الضعف والاضطراب في الإرادة وهو كثيرا ما يكون نابعا من الخوف والحذر اللذين لا معنى لهما.

ولذلك أجابهم النّبي صلّى الله عليه وسلم عن كلامهم بعبارة فيها كل الحزم والعزم، دون أن يلتفت إلى لغط القوم وتعاتبهم فيما بينهم، قال: «ما ينبغي لنبيّ لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»[2]

ثم قام رسول صلى الله بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب .

كتيبة المهاجرين : وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدرى .

كتيبة الأوس من الأنصار : وأعطى لواءها أُسيد بن حضير .

كتيبة الخزرج من الأنصار : وأعطى لواءها الحباب بن المنذر .

وكان الجيش متألفاً من ألف مقاتل فيهم مائة دارع ، ولم يكن فيهم من الفرسان أحد ، وإستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم ، وآذن بالرحيل .

وعندما وصل الى مقام يقال له (الشيخان) ، إستعرض جيشه ، فرد من إستصغره ولم يره مطيقاً للقتال ، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن ظهير ، وزيد بن ثابت ، وعَرابة بن أوس ، وعمرو بن حزم ، وأبو سعيد الخدرى ، وزيد بن حارثة الأنصارى ، وسعد بن حَبة ، وأجاز رافع بن خُديج ، وسَمُرة بن جُندب ، على صغر سنهما ، وذلك أن رافع بن خديج كان ماهراً فى رماية النبل فأجازه ، فقال سمرة : أنا أقوى من رافع ، أنا أصرعه ، فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه أيضاً[3]

قلت: إن من إقدامه صلى الله عليه وسلم على رد من لا يطيق القتال من الصبية ، وإجازة بعضهم ، ،نأخذ الدروس والأحكام التالية :-

[1] - سورة آل عمران الآيتان (169-170)

[2]- أنظر فقه السيرة للبوطى ، ص 177 .

[3]- انظر الرحيق المختوم ، ص 225 .

1. عدم إستخدام الصبيان الذين لم يطيقوا القتال لصغر سنهم ، سواء أتوا راغبين فى القتال بإرادتهم أو جيئ بهم كارهين ، وهذا مما وقع فيه كثيراً من ممن يحملون السلاح ضد الدولة فإنهم يجندون الأطفال للقتال كرهاً ، بل يقوموا بإختطافهم من ذويهم ويربوهم على العنف والحقد على المجتمعات ، فيكبروا وقد ضاعت قيمهم ، وطمست عقيدتهم ، فيصبحوا لقمة سائقة لكل أعداء الإسلام والمسلمين ، وهؤلاء الذين يفعلون هذا بالقُصَر يدعون أنهم مسلمون ، ولو كانوا كذلك لزجرهم قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1]، ولنهاهم قوله صلى الله عليه وسلم (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَيَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا»[2]
2. إن التربية على الإيمان القوى كان ديدن الصحابة مع أبنائهم ، فكان أن أنجنبوا أبناءً مثل الكبار عزيمةً ، وهذه التربية هى التى غرس بذرتها رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد روى عن عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[3]، وقد طبق الصحابة رضى الله عنهم هذه التربية بحزافيرها على أبنائهم ، فكان الغرس طيباً والثمر طيباً ، فكان الإيمان يضاهى الجبال ثباتاً ، ويتجلى هذا الإيمان القوى فى أن الصبى سمرة بن جندب الذى لم يبلغ الحلم يحتج على عدم إجازته للقنال فى غزوة أحد ، مع إجازة صاحبه رافع بن خديج لأنه كان ماهراً فى الرماية ، فقال سمرة بن جندب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أصرع رافعاً ، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصارعا ، فتصارعا فصرع سمرة رافعاً ، فأجازهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثنين معاً.
3. إن التربية الناجحة هى التى تتناول جميع ضروب الحياة ، لا سيما التربية على إجادة فنون القتال ، لأن أعداء الإسلام يتربصون بالمسلمين الدوائر ، فلربما هجموا على بلاد المسلمين على حين غفلة منهم ، فإن لم يوجد من المسلمين من يجيد إستعمال آلات الحرب فالخسارة لا محالة واقعة ، وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك حينما وجد نفرا من الصحابة يتسابقون بالرمى فأستحسن ذلك منهم وحثهم على فعله فقد روى البخارى عن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[4]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟» ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[5]، لذلك نجد أن هؤلاء الصبية الذين ردهم رسول الله والذين أجازهم ، كانوا جميعا على دراية تامة بفن القتال والحرب ، وما ذلك إلا لتحمل ذويهم المسئولية التامة فى تربيتهم التربية الكاملة الشاملة لجميع فنون الحياة .

قال الدكتور البوطى: ومما يجدر التأمل فيه، حال سمرة بن جندب ورافع بن خديج، وهما طفلان لا يزيد عمر كل منهما على خمس عشرة سنة، وكيف جاءا يناشدان رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يسمح لهما بالاشتراك في القتال، وأي قتال؟!. قتال قائم على التأهب للموت، لا تجد فيه أي معنى من التعادل بين الفريقين: المسلمون وعددهم لا يزيد على سبع مئة، والمشركون وهم يتجاوزون ثلاثة آلاف مقاتل.

---

1 سورة المائدة الآية (33).

2- أخرجه الحاكم ، 131/1ح209عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى

3- أخرجه الترمذى ، 667/4ح2516عن ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح .

4- ينتضلون : أى يرمون بالسهام ، أنظر النهاية فى غريب الحديث ، 72/5 .

5- أخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، باب التحريض على الرمى ، 38/4ح2899 عن سلمة بن الأكوع .

والعجيب حقا أن يقف بعض محترفي الغزو الفكري على مثل هذه الظاهرة، فيذهبوا في تحليلها إلى أن العرب كانوا أمة تعيش في ظل الحروب والغزوات الدائمة، فكانوا ينشؤون في أجوائها وظروفها، ولذلك كانوا ينظرون إليها (شيبا وشبانا وأطفالا) نظرة طبيعية لا تسبب لهم قدرا بالغا من المخاوف.

لا ريب أن أرباب هذا التحليل، يغمضون أعينهم في إصرار عجيب، أثناء هذا الكلام عن تخاذل أمثال عبد الله بن أبي بن سلول مع ثلاث مئة من أصحابه، تحت وطأة الخوف من عواقب القتال، والرغبة في الجنوح إلى السلامة والأمن. وعن تخاذل أولئك الآخرين الذين استعذبوا ظل المدينة وثمارها ومياهها وسط حرارة الصيف، وأعرضوا عن نداء رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالخروج والقتال، قائلين: «لا تنفروا في الحر»، بل وعن هزيمة المشركين في غزوة بدر، على الرغم من ضخامة عددهم وقلة المسلمين، ووقوع الرعب في أفئدتهم، وهم هم العرب الذين نشؤوا في ظلال الحروب ورضعوا ألبانها واستهانوا بصعابها.

من الصعوبة البالغة للمنصف أن يتهرب عما تحكم به البداهة الواضحة، من أن سرّ هذا الإقدام على الموت من مثل هؤلاء الأطفال، إنما هو الإيمان العظيم الذي استحوذ على القلب، والذي ترتبت عليه محبّة عارمة لرسول الله صلّى الله عليه وسلم. فحيثما وجد الإيمان ووجدت هذه المحبة، ظهر هذا الإقدام والاستبسال، وحيثما ضعف الإيمان، وضعفت المحبة في القلب انقلب الإقدام إحجاما والاستبسال كسلا وتقاعسا[1].

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع خطة للدفاع ، بعد أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيشه الشعب من جبل أحد فى عدوة الوادى ، عبأ جيشه وهيأهم صفوفاً للقتال ، فإختار منهم فصيلة من الرماة الماهرين ، قوامها خمسين مقاتلاً ، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصارى الأوسى البدرى ، وأمرهم بالتمركز على جبل– وعُرف فيما بعد بجبل الرماة – وقد قال لقائدهم : إنضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فأثبت مكانك ، لانؤتين من قبلك[2]

وقال للرماة : إحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلاتنصرونا ، وإن رأيتمونا غنمنا فلاتشركونا[3]

وفى رواية البخارى أنه قال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلاتبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلاتبرحوا حتى أرسل إليكم[4]

أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو ، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام ، يسانده المقداد بن الاسود ، وأوكل الى الزبير مهمة الصمود فى وجه فرسان خالد بن الوليد ، وجعل فى مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة ، وقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً ، تتجلى فيها عبقرية قيادة النبى صلى الله عليه وسلم العسكرية ، أنه لايمكن لقائد مهما كانت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذه ، فقد إحتل أفضل موضع من ميدان المعركة ، مع أنه نزل فيه بعد العدو ، فإنه حمى ظهره ويمينه بإرتفاعات الجبل ، وحمى ميسرته وظهره – حين يحتدم القتال – بسد الثلمة الوحيدة التى كانت توجد فى جانب الجيش الإسلامى ، وإختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتمى به – اذا نزلت الهزيمة بالمسلمين – ولايلتجئ إلى الفرار حتى يتعرض للوقوع فى قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم – ويلحق من ذلك خسائر فادحة بأعدائه إن أرادوا إحتلال معسكره وتقدموا اليه، وألجأ أعدائه الى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شئ من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم ، ويصعب عليهم الإفلات من

---

[1]- أنظر فقه السيرة للبوطى ص 178،179 .

2- انظر السيرة النبوية لإبن هشام 65،66/2 .

3- أخرجه احمد ، 186/6 ، والطبرانى فى الكبير 173/9، وإسناده ضعيف فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، انظر تقريب التهذيب ص340، ت3861، وله شواهد صحيحه.

4- أخرجه البخارى ، كتاب الجهاد ، 426/1ح3039 عن البراء بن عاذب رضي الله عنه.

المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين ، كما أنه عوَض النقص العددى فى رجاله بإختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين .

وقد تمت تعبئة الجيش النبوى صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة 3هـ

ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن الأخذ فى القتال حتى يأمرهم وظاهر بين درعين ، وحرَض الصحابة على القتال ، وحضهم على المصابرة والجلاد عند اللقاء ، حتى إنه جرد سيفاً باتراً فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام اليه رجال ليأخذوه ، منهم علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام وعمر بن الخطاب ، حتى قام إليه أبودجانة سماك بن خَرَشة فقال: وماحقه يارسول الله ؟ فقال أن تضرب به وجه العدو حتى ينحنى ، قال: أنا آخذه بحقه يارسول الله ، فأعطاه إياه[1] .

قلت: إن فى ما أقدم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبئة للجيش دروس وأحكام نجملها فيما يلى:-

1. إن القائد الناجح يستوعب كل الأسباب والخطط المطلوبة لإدارة المعركة بنجاح ، وتهيئة أجواء النصر لجيشه ، وهذا يدخل فى إعداد العدة الذى أمر الله به فى قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)[2]، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يهتم بهذا الأمر إهتماماً كبيراً ، ولايترك ثغرة تضر بالمسلمين إلا سدها ، ثم بعد ذلك يتوكل على الله ويدعوه أن ينصره ، فلو أن القائد أغفل بعض التدابير الحربية ولم يتمها ، فإن ذلك يؤدى إلى إضعاف روح الجند الحربية ، فإذا دارت المعركة فلربما قاتلوا أجسادا بلا أرواح ، مما يسهل مهمة أعدائهم فى إستئصال شأفتهم.
2. طاعة القائد واجبة على جميع الجند فيما أمر ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[3]، هذه الطاعة هى التى تمهد طريق النصر للجند ، وتؤدى إلى التسامح والتآخى بينهم ، وأما مخالفة القائد لاشك أنها تقود إلى الخسائر الفادحة فى الأرواح وفى كل شئ ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كما فى قوله (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، – فَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ – " مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ)[4] ، ولما خالف الرماة يوم أحد أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجتهادهم كانت الخسارة الفادحة والكبيرة التى أفقدت المسلمين نفرا من أصفياء الأمة وصلحاء الناس .

قلت: فيما يتعلق بالسيف الذى جرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام إليه رجال من المهاجرين فلم يعطه لهم ، حتى جاءة أبو دجانة الأنصارى فقال: وما حقه يا رسول الله ؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينثنى ، مع أن الذين سبقوا أبى دجانة صحابة أفاضل ، وعلى صلة رحمية برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أن علياً رضي الله عنه ابن عمه ، والزبير بن العوام ابن عمته صفية ، وعمر بن الخطاب صهره ، فالجواب هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مطمئن من ثبات هؤلاء وبذلهم الغالى والنفيس إذا دارت المعركة ، فهؤلاء لايحتاجون إلى مزيد تحريض على القتال ، فإن الأمر عندهم سيان ، سواء أخذوا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يأخذوه ، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يعرف مدى أستعداد غيرهم إذا دارت الحرب وحمى الوطيس ، وهل كل الجند على درجة من الإستعداد كإستعداد هؤلاء الذين يثق فى ثباتهم وعزيمتهم ، لذلك لما قام سماك بن خرشة – أبودجانة الأنصارى– وهو من الأنصار أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ، وإطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلى الروح القتالية العالية التى يتمتع بها سائر الجيش ، ومثل ذلك إنك إن أردت أن تعلم رأى قوم فى أمر من الأمور ، وكان فيهم

---

[1]- اخرجه البزار فى مسنده ، 53/2 وقال الهيثمى فى المجمع ، 90/6 رواه البزار ورجاله ثقات - وانظر الرحيق المختوم ص 230-231 بتصرف .

[2] - سورة الأنفال الآية: (60).

[3] - سورة النساء الآية: (59) .

4- أخرجه احمد 286/12، وإسناده صحيح ورواته ثقات.

حلفائك وبطانتك التى تثق فيها ، فإذا أتتك الموافقة من أحد حلفائك ومن تثق فيهم ، لا شك إنك إن كنت عادلاً لا تعتمد على ذلك بل تطلب من غير حلفائك الإدلاء برأيهم حتى تقف على حقيقة الأمر ، فإن نطق من لاتربطه بك مصلحة بموافقتك ، فحينها تطمئن نفسك ، وتسير على بركة الله ، وهذا هو عين ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر.

قال الدكتور البوطى: إذا تأملت حال رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو ينظم صفوف أصحابه ويرتب أجنحتهم، ويضع الحامية اللازمة في مؤخرة المسلمين، ويأمر الرماة أن لا يغادروا أماكنهم مهما وجدوا من أمر إخوانهم المقاتلين حتى يتلقوا الأوامر منه صلّى الله عليه وسلم، نقول: إذا تأملت ذلك اتضحت حقيقة بارزة، ولاحت لك من ورائها ظاهرة هامة أخرى.

أما الحقيقة البارزة، فهي البراعة العسكرية التي كانت تتصف بها قيادته صلّى الله عليه وسلم في الحروب، فقد كان في مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه، ولا ريب أن الله تعالى قد جهزه بعبقرية نادرة في هذا المجال. ولكننا نقول: إن هذه العبقرية والبراعة إنما يأتي كل منهما من وراء نبوته ورسالته السماوية، فمركز النبوة والرسالة هو الذي اقتضاه صلّى الله عليه وسلم أن يكون عبقريا بارعا في فنون الحرب وغيرها، كما اقتضاه أن يكون معصوما بعيدا عن كل انحراف وزلل.

وأما الظاهرة التي تلوح للمتأمل من خلال توصياته الدقيقة هذه لأصحابه عامة، وللرماة خاصة فهي ظاهرة ذات علاقة وثيقة بما قد تم بعد ذلك من خروج بعض أولئك الرماة على أوامره صلّى الله عليه وسلم. فكأن النبي صلّى الله عليه وسلم قد استشف بفراسة النبوة أو بوحي من الله تعالى هذا الذي قد حدث فيما بعد، فراح يؤكد التوصيات والأوامر، وكأنه في ذلك يجري مع أصحابه مناورة حية مع عدوّ لهم هو النفس وأهواؤها وما تنطوي عليه من طمع في المال والغنائم، والمناورة مهما كانت نتيجتها، تفيد فائدة عظيمة.. وربما كانت النتيجة السلبية أدعى للاستفادة من النتيجة الإيجابية[1].

ولما قرب المسلمون من النصر على المشركين فى غزوة أحد ، وأخذ المشركون فى الفرار ، وتبددت قواهم ، إذ بالرماة الذين أوكل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حراسة الجبل الذى يحمى ظهر المسلمين تركوا مواقعهم لما رأوا المسلمين بدأوا فى جمع غنائم العدو، وإنتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، فكر بسرعة خاطفة الى جبل الرماة ، فانقلب المشركون على المسلمين وألحقوا بهم خسائر فادحة، وخلص المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل جماعة من الصحابة ممن كانوا يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رغم مالحقه من الاذى يحثهم على الصبر والثبات ويبشرهم بالجنة ، حتى إجتمع اليه رجال من أفاضل الصحابة ، فبدأوا فى الدفاع عنه ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسحب بالمسلمين الى أعلى جبل أحد ، وقد نجح فى ذلك رغم محاولات المشركين إعتراض هذا الإنسحاب والتى باءت بالفشل مع ماأظهره المسلمون من فنون القتال وثبات على المبدأ[2] .

قلت: إن ما ذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصرف حكيم بعد عملية تطويق الجيش الإسلامى ، وثباته صلى الله عليه وسلم فى أرض المعركة بعد ذلك ، يدلنا إلى حكم مهم ، ودرس من دروس ساحات الوغى ، وهو أن القائد الناجح لايلجأ إلى الفرار عن ميدان المعركة مهما كانت النتيجة ، لأن عواقب الفرار أكبر بكثير من عواقب الثبات مهما كبرت الخسائر ، إذ أن الفرار يجعل الأعداء يستمرون فى إدارة دفة الحرب لصالحهم ، فيستمرون فى جمع الغنائم ، وقتل من ثبت من المسلمين ، ومطاردة وأسر من فر منهم ، وهذا إن حصل سيضعف مكانة المسلمين العسكرية والسياسية ، ويذهب هيبتهم ، كما أن الله حرم ذلك قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[3]، لذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يلجأ إلى الفرار أبداً فى كل غزواته التى غزاها ، حتى وإن رأى من جيشه نكوصاً وتراجعاً ، فإنه يقوم ببعض التدابير والخطط التى يؤمن بها إنسحاب الجيش من ساحة المعركة دون أن تلحقه خسائر ،

[1]- أنظر فقه السيرة للبوطى ص179،180 .
[2]- انظر زاد المعاد ، 172/3 .
[3] - سورة الأنفال الآيتان: (15-16).

وهذا ماحدث فعلاً منه صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ، فحينما ترك الرماة أماكنهم ، ودارت الدائرة على المسلمين ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ميدان المعركة ، وتجمع حوله الصحابه وبدأوا يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعاً مستميتاً ، إلى أن باءت كل محاولات المشركين لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفشل ، ثم إنسحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش إلى أعلى جبل أحد ، وهكذا إستطاع أن يجنب المسلمين خسائر فادحة ، إذا تركهم يفرون ، أو إذا تركهم دون خطة تؤمن لهم إنسحابهم ، وهذا أيضاً ما فعله القائد الناجح خالد بن الوليد فى معركة مؤتة ، حينما إستشهد القادة الثلاثة قبلة ، وإستلم قيادة الجيش ، فقام بتدبير حيلة وخطة يؤمن بها إنسحاب الجيش دون أن تلحقه خسائر ، وكان له ما أراد ، حينما قام بتغيير فى صفوف الجيش ، فنقل ميمنة الجيش إلى الميسرة ، والميسرة إلى الميمنة ، وجعل الساقة فى المقدمة ، والمقدمة ساقة ، قلما رأى الروم هذا التغيير ظنوا أن المسلمين أتاهم المدد ، فأنسحب المسلمون دون أن يتعرض لهم الروم بسوء.

المطلب الرابع : حكمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق:

قال ابن هشام في سيرته: بعد أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر تحرك جيش الأحزاب ، سارع الى عقد مجلس إستشارى أعلى ، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن المدينة ، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى ، إتفقوا على قرار قدمه الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضى الله عنه .

قال سلمان: يارسول الله ، إنا كنا بأرض فارس اذا حوصرنا خندقنا علينا ، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك ، وأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تنفيذ هذه الخطة ، فوكل الى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً ، وقام المسلمون بجد ونشاط يحفرون الخندق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم ويساهم فى عملهم هذا ، ففى البخارى عن سهل بن سعد ، قال: كنا مع رسول الله فى الخندق ، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فأغفر للمهاجرين والأنصار[2]

وعن البراء بن عاذب قال: رايته صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الغبار جلدة بطنة ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ماإهتدينا ولاتصدقنا ولاصلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى رغبوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا[3]

ولما كانت المدينة تحيط بها الجبال والحرات وبساتين من النخيل من كل جانب سوى الشمال ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أن زحف مثل هذا الجيش الكبير ، ومهاجمته المدينة لايمكن إلا من جهة الشمال ، إتخذ الخندق فى هذا الجانب .

وواصل المسلمون عملهم فى حفره ، فكانوا يحفرون طول النهار ، ويرجعون الى أهليهم فى المساء ، حتى تكامل حفر الخندق حسب الخطة المنشودة قبل أن يصل الجيش الوثنى العرمرم الى اسوار المدينة[4]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فجعلوا ظهورهم الى جبل سلع فتحصنوا به ، والخندق بينهم وبين الكفار ، وكان شعارهم (حم لاينصرون) ، وإستخلف على المدينة إبن أم مكتوم ، وأمر بالنساء والذرارى ، فجعلوا في آطام[5] المدينة .

---

[1]-- الكتد بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين وهو الكاهل . انظر النهاية فى غريب الحديث 255/4 .

[2]-اخرجه البخارى ، 64كتاب المغازى ، 29باب غزوة الخندق ، 481/13ح4098 .

[3]-أخرجه البخارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة الخندق ، 489/13ح4106

[4]-انظر السيرة النبوية لإبن هشام 330،331/3 بتصرف .

[5]-الأطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام ، وآطام المدينة أبنيتها المرتفعة كالحصون . انظر النهاية فى غريب الحديث 130/1

ولما راراد المشركون مهاجمة المسلمين وإقتحام المدينة وجدوا الخندق بينهم وبينها ، فلجأوا الى فرض حصار على المسلمين ، بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم ، إذ كانت هذه الخطة مكيدة لم تعرفها العرب ، فلم يكونوا أدخلوها فى حسابهم رأساً ، وأخذ المشركون يدورون حول الخندق يتحسسون نقطة ضعيفة ينحدروا منها ، وأخذ المسلمون يتطلعون الى جولات المشركين يرشقونهم بالنبل حتى لايجترئوا على الإقتراب منه ، ولايستطيعوا أن يقتحموه ، او يهيلوا عليه التراب ، ليبنوا به طريقاً يمكنهم من العبور[1]

قلت: إن فى حفر الخندق دروس وعبر منها ، إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلتزم الشورى فى أموره كلها سلماً أو حرباً ، لذلك نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم إستشار الصحابة فى خطة الدفاع عن المدينة ، فأشار إليه سلمان الفارسى بحفر الخندق ، وقد شارك النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة فى حفر الخندق بنفسه ، فلم يجلس بعيداً وينظر ويوجه ، بل باشر العمل بنفسه ، فلما جاعوا جاع مثلهم ، كما روى عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَجَرَيْنِ[2] ، ويأكل مما ياكلون ، ويشرب مما يشربون ، حتى تكامل حفر الخندق ، ورد الله المشركين بغيظهم لم ينالوا شيئا.

قال الغزالي:إنّ الدفاع عن الإسلام ومخافة الفتنة لو انتصر المشركون جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يعالجون هذا العمل الثقيل ونفوسهم راضية مغتبطة مع ما يلقون فيه من عناء وصعوبة.

ولا تحسبنّ عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعميق الخندق وقذف أتربته من قبيل التمثيل الذي يحسنه بعض الزعماء في عصرنا، كلا، كلا.

إنّ الرجولة الكادحة الجادّة في أنبل صورها كانت تقتبس من مسلك الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة. يقول البراء: لقد وارى عني التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر .

أجل إنه استغرق في العمل مع أصحابه؛ فالرجولة الصادقة لا تعرف التمثيل.

وكان الفصل شتاء، والجوّ باردا، وهناك أزمة في الأقوات تعانيها المدينة التي توشك أن تتعرّض لحصار عنيف، وليس هناك أقتل لروح المقاومة من اليأس، فلو تعرّض المحصور لسوراته المقبضة فمزالق الاستسلام الذليل أمامه تنجرّ به إلى الحضيض، لذلك اجتهد النبيّ صلى الله عليه وسلم في تدعيم القوى المعنوية لرجاله، حتى يوقنوا بأنّ الضائقة التي تواجههم سحابة صيف عن قليل تقشع[3].

قال الدكتور البوطي: ومن خلال مااستعرضناه من وقائع هذه الغزوة ومشاهدها نقف على ماتنطوي عليه من دروس وعظات وأحكام، نلخصها فيما يلي:

أولاً: لقد كان من جملة الوسائل الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة حفر الخندق، ولقد كانت غزوة الأحزاب أول غزوة في التاريخ العربي والإسلامي يحفر فيها الخنادق، إذ هو مما كان متعارفا بين الأعاجم فقط، وقد رأيت أن الذي اقترح ذلك في غزوة الأحزاب إنما هو سلمان الفارسي، وقد رأيت أن النبي صلّى الله عليه وسلم أعجب بهذه الوسيلة الحربية وسرعان مادعا أصحابه إلى القيام بتحقيقها.

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تحب لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادئ المفيدة جميعها، أينما لاح لهم ذلك، وحيثما وجد. فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد، هي أن لا يعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامة شؤونه وأحواله، وإذا كان المسلم كذلك، فهو ولا ريب، لا يمكن أن يربط في عنقه زماما يسلّم طرفه للآخرين

---

[1]-انظر الرحيق المختوم ص 271 .

[2]- أخرجه الترمذى ، أبواب الزهد ، باب ما جاء فى معيشة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ح2371 عن أبى طلحة، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

[3]- أنظر فقه السيرة للغزالى ، 299/1 .

فيقودوه حيثما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة، وهو أيضا لا يمكن أن يتجاهل أي مبدأ أو عمل أو نظام يسلّم به العقل النيّر والفكر الحر وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ليتجاوزه ولا يتعب نفسه بأخذه والاستفادة منه.

وهذا السلوك الذي شرعه الله للمسلم، إنما ينبع من أصل أساسي هو الكرامة التي فطر الله الإنسان عليها إذ قضت مشيئته أن يكون هو سيد المخلوقات. وما ممارسة العبودية لله تعالى والتزام أحكام شريعته إلا ضمان لحفظ هذه الكرامة والسيادة.

ثانيا: وفيما استعرضناه من مشهد عمل الصحابة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم في حفر الخندق، عبرة بالغة كبرى، توضح لك حقيقة المساواة التي يرسيها المجتمع الإسلامي بين جميع أفراده المسلمين، وتكشف لك أن العدالة والمساواة، ليستا في الاعتبار الإسلامي مجرد شعارات يزين بها ظاهر المجتمع أو يوضع منه في إطار لامع براق، وإنما العدالة والمساواة هما الأساس الواقعي الذي تنبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية عامة ظاهرا وباطنا.

فأنت تجد أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم لم يندب المسلمين إلى حفر الخندق، ثم ذهب يراقبهم في قصر منيف له مستريحا هادئا، ولا أقبل إليهم في احتفال صاخب رنان ليمسك معول أحدهم بأطراف أصابعه، فيضرب به ضربة واحدة في الأرض إيذانا ببدء العمل وتخييلا لهم أنه قد شاركهم في ذلك، ثم يلقي المعول ويدير إليهم ظهره، ينفض عن حلته ما قد علق بها من ذرات غبار..

ولكن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد انخرط في العمل كأي واحد من أصحابه، حتى لبس ثوبا من الأتربة والغبار على جسمه فما تفرقه عن أي عامل آخر من صحبه وإخوانه، يرتجزون لينشط بعضهم بعضا، فيرتجز معهم، ويتعبون ويجوعون فيكون أولهم تعبا وجوعا[1].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نقضت بنو قريظة عهدها مع المسلمين ، بتحريض من حيي بن أخطب ، سيد بنى النضير ، وبعد أن تحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الخبر ، إستشار السعدين ، سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، على مصالحة عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسى غطفان على ثلث ثمار المدينة حتى ينصرفا بقومهما ويتركوا المسلمين لإلحاق الهزيمة بقريش ، فقال السعدان: يارسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة ، وإن كان شيئا تصنعه لنا فلاحاجة لنا فيه ، لقد كنَا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ، والله لانعطيهم إلا السيف ، فصوَب رأيهما وقال: إنما هو شئ أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة .

ثم إن الله عز وجل صنع أمراً من عنده ، خز به العدو ، وهزم جموعهم ، فهيأ الله رجلاً من غطفان يقال له نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يارسول الله إنى أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بماشئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت رجل واحد ، فخذِل عنا ماإستطعت ، فإن الحرب خدعة ، فذهب الى بنى قريظة – وكان عشيراً لهم فى الجاهلية – فدخل عليهم وقال: قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصَة مابينى وبينكم ، قالوا: صدقت ، قال: إن قريش ليس مثلكم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناءكم ونساءكم ، لاتستطيعون أن تتحولوا منه الى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فإن أصابوا فرصة إنتهزوها ، وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمد فإنتقم منكم ، قالوا: فما العمل يانعيم ؟ قال: لاتقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن ، قالوا: لقد أشرت بالرأى .

ثم مضى نعيم على وجهة الى قريش وقال لهم: تعلمون ودى لكم ونصحى لكم ؟ قالوا: نعم ، قال: إن يهود قد ندموا على ماكان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه ، ثم يوالونه عليكم ، فإن سألوكم رهائن فلاتعطوهم ، ثم ذهب الى غطفان فقال لهم مثل ذلك .

[1]- أنظر فقه السيرة للبوطى ص218،219 .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة ، بعثوا الى يهود: إنَا لسنا بأرض مقام ، وقد هلك الكراع[1] ، والخف[2] ، فأنهضوا بنا حتى نناجز محمداً ، فأرسل إليهم اليهود إن اليوم يوم سبت ، وقد علمتم ماأصاب من قبلنا حيث أحدثوا فيه ، ومع هذا فإنا لانقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن ، فلما جاءتهم رسلهم بذلك ، قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم ، فبعثوا الى يهود إنَا والله لانرسل إليكم أحدا ، فأخرجوا معنا حتى نناجز محمداً ، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم ، فتخاذل الفريقان ، ودبت الفرقة بين صفوفهم ، وخارت عزائمهم[3].

قلت: إن فى نقض بنى قريظة عهدهم مع المسلمين ومجابهة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بالتدابير التى كفت المسلمين شر ذلك الغدر لعبر ودروس وأحكام منها :-

1. إن اليهود أهل غدر ومكر ودس ، فبعد أن أعطوا المسلمين العهود والمواثيق التى تؤمن لهم العيش فى سلام مع المسلمين ، فإذا بهم ينقضون عهودهم ولم يستطيعوا الثباب عليها ، وهذا هو حالهم الذى لم يستطيعوا الإقلاع عنه منذ القدم ، وقد تحدثنا عن اليهود وغدرهم فى تعليقنا عن سبب غزوة الخندق .
2. إن على المسلم التحقق من صحة الأخبار التى تصله ، ولا يبنى عليها أحكاماً إلا بعد أن يتحقق منها ، فهذا رسول الأمة صلى الله عليه وسلم بعد أن وصله خبر نقض بنو قريظة عهدهم مع المسلمين ، كان أول ما فعله أن أرسل أثنين من أفاضل الصحابة للتثبت من صحة الخبر ، فلما أكدا له صحة الخبر فعل تدابيره لمجابهته ، وهذا ما تفقده الأمة فى هذا الزمان ، فتجد بعض الناس عندما يبلغه خبراً خيراً أو شراً ، يقوم بنشره بين الناس من غير تثبت ، فلم يلبث أن يكتشف زيف الخبر ، وتجد البعض يعادى أخاه لمجرد خبر طائش لم يتحقق منه ، فكان ينبغى علينا جميعاً أن نتثبت عن جميع الأخبار التى تصلنا ولانبنى عليها أحكاماً حتى نتحقق من صحتها ، وهذا ما أشار إليه المولى عز وجل فى كتابه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[4].
3. إن من تمام الحكمة الجهر بالخبر السار بين الناس ، والإسرار بالخبر السيئ ، وهذا الأمر مطلوب فى حالتى السِلم والحرب ، لأن الخبر السار يدعم الوحدة ويرفع الروح المعنوية فلا حاجة إلى الإسرار به ، وأما الخبر السيئ فإن جُهر به فإنه يقلل من الروح المعنوية ، ويفتح أبواباً من اللغط بين الناس ، فيخوضوا فيه وفى أسبابه مما يقلل من تماسك الجماعة الواحدة ، لذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الرسولين الذين أرسلهما إلى بنى قريظة ليتحققا من صحة الخبر بإفشائه بين الناس إن كان خيراً ، وكتمانه إن كان شراً ، وقد وقع المسلمين فى عاقبة سيئة فى غزوة بنى المصطلق نتيجة فشوء خبر سيئ بينهم ، وذلك لما تشاحن غلام لعمر بن الخطاب ، وغلام للأنصار ، فأستنجد كل من الغلامين بقومه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحتوى الأمر ، ثم لما بلغ هذا الأمر المنافق عبد الله بن أبى بن سلول قال: والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخبر بما قاله هذا المنافق ، فلما علم عبد الله بن أبى بن سلول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخبر بما قاله جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله ، وبدأ الناس يتحثون فى ذلك ويخوضون فيه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً أن يؤذن بالرحيل فى زمن لم يكن يعتاد الرحيل فيه ، ثم مشى بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض، فوقعوا نياما. فعل ذلك؛ ليشغل الناس عن الحديث[5].

---

[1]- الكراع إسم لجميع الخيل ، انظر النهاية ، 297/4 .
[2]- الخف : الجمل المُسِن ، انظر النهاية 130/2 .
[3]- أنظر فقه السيرة للغزالى ، ص216 .
[4] - سورة الحجرات الآية: (6).
[5]- أنظر تفاصيل القصة فى الرحيق المختوم ، ص302 .

4. إن من الدروس المستفادة من تدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجابهة نقض بنى قريظة للعهد ، أن القائد إذا وقع فى أمر جلل عليه أن يخطط لمجابهته ويستشير أهل الرأى من خاصته ، ويأخذ برأيهم ، فقد إستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدين – سعد بن معاذ وسعد بن عبادة – على مصالحة عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف رئيسى غطفان ، على ثلث ثمار المدينة حتى ينصرفا بقومهما ويتركوا المسلمين لإلحاق الهزيمة بقريش ، ولكن السعدان رفضا ذلك ، وقالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوّب رأيهما وقال: «إنما هو شيء أصنعه لكم، لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة»[1] ، وهذا يدخل فى باب أن ما أبداه صلى الله عليه وسلم من الرأى يحتمل الأخذ والرد ما لم يكن وحياً ، وقد سبق الحديث عن هذه المسألة فى ثنايا هذا البحث .

5. إن الكذب فى الحرب مباح ، بل هو مطلوب إذا كان يحقق المصالح العليا للمسلمين ، لذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنعيم بن مسعود: إذهب فخذل عنا ، فذهب نعيم فخذل فكان أن تخاذل المشركون ، ودبت الفرقة بينهم ، وهذه إحدى الأحوال الثلاثة التى يجوز فيها الكذب كما بين رسولنا صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ، اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا[2] .

6. ما هي الحكمة، ترى، في استشارته عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه، في أن يعرض صلحا على غطفان، قوامه إعطاؤهم ثلث ثمار المدينة على أن ينصرفوا عن تأييد قريش ومن معهم، ويرجعوا عن حرب المسلمين، وما هي الدلالة التشريعية التي تؤخذ من تفكيره هذا؟ ..

أما الحكمة، فهي أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه الصادقون، من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من هذا الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب ما طلعت به بنو قريظة في الوقت نفسه من نقض العهود والمواثيق. وقد كان من عادته صلّى الله عليه وسلم– كما قد رأيت– أنه لم يكن يحب أن يسوق أصحابه إلى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة كافية لخوضها، أو لا يؤمنون بجدواها، وقد كان هذا من أبرز أساليبه التربوية صلّى الله عليه وسلم لأصحابه. فمن أجل ذلك، عرض على أصحابه هذا الرأي، وأنبأهم أنه ليس تبليغا من الله تعالى، وإنما هو شيء يبديه لهم كي يكسر عنهم شوكة المشركين، إذا كانوا لا يجدون في أنفسهم طاقة على مقابلتهم.

وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته صلّى الله عليه وسلم إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من كتاب الله تعالى، فأما ما كان من ذلك في حدود الاستشارة والرأي المجردين فلا يعتبر دليلا بحال. إذ الاستشارة أولا: يمكن أن يكون المقصود منها مجرد استطلاع لما في النفوس كما ذكرنا، أي فهي ممارسة لعمل تربوي بحت، وهي ثانيا: حتى ولو انتهت بعمل تنفيذي، يمكن أن يرد عقبه اعتراض من كتاب الله تعالى، فلا تبقى فيه أي دلالة تشريعية[3].

---

[1]- انظر الرحيق المختوم ص 52

[2]- أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ، 2011/4ح2605عن ام كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها

[3]- أنظر فقه السيرة للبوطى ، ص221،222 .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبرضائة تنال الجنات ، وبرضائه تنال الجنات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، ذو الخلق العظيم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

بحمد الله وتوفيقه ، فرغت من هذا البحث ، والذى خصصته لعكس جوانباً من حكمته صلى الله عليه وسلم مع الرعية سِلماً وحرباً ، لعلنا نعتبر بها ونجعلها واقعا محسوساً فى حياتنا ، ومن خلال هذه الدراسة خلصت إلى النتائج التالية :

أ. عرف العلماء الحكمة بعدة تعريفات ، وعند التأمل والنظر فى هذه التعريفات نجد أن التعريف الشامل للحكمة هو : أن الحكمة هى الإصابة فى الأقوال والأفعال ، ووضع كل شئ فى موضعه .

ب. لحكمة النبي صلى الله عليه وسلم صوراً عديدة منها مايلي:

1. إنه كان يخفى على الناس بعض أنواع البر ليجتهد الناس فى طلبها ، وتحرى زمانها .
2. إنه كان يدعو الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإن تعدوا على حرمات الله لجهلهم.
3. إنه كان يجيب السائلين عن الخير بما هو خير لهم فى الدنيا والآخرة ، لذلك تعددت إجاباته للسائلين مراعاتاً لما هو أنفع لهم .
4. إنه كان لايجابه الإساءة بالإساءة ، بل كان يقابل السيئة بالحسنة ، والغلظة بالسهولة ، مالم تنتهك حرمات الله.
5. إنه كان خريصاً على هداية الناس إلى دين الإسلام ، لذلك نجده يعفو عن الذين يتربصون به ليقتلوه اذا وجد منهم إشارة إلى قبول الإسلام .
6. أنه كان يلتزم الشورى فى اموره كلها سلماً وحرباً.
7. إنه كان يأخذ بالأسباب فى أموره كلها ، ثم بعد ذلك يتوكل على الله حق التوكل.
8. إنه كان لايلجأ إلى الفرار عن أرض المعركة أبدا ، وإن رأى من جيشه نكوصاً، فإنه يقوم ببعض التدابير التى يؤمن بها إنسحاب الجيش دون أن تلحقه خسائر.
9. إنه كان يشارك الصحابة فى العمل والجوع والعطش ، وهو اشد فرحاً وأطيب نفساً أكثر من أنه لم يشاركهم .
10. إنه كان ، اذا أتاه خبر نقض العهد ممن عاهده فإنه يرسل إليه رسولاً ، يحقق له الخبر ، ثم يجابه ذلك بما يستحقه من التدبير .

التوصيات:

1. أوصي وزارة التربية والتعليم أن تُدخل في منهجها لجميع المراحل تدريس الحكمة النبوية واستخلاص العبر والدروس منها.
2. أوصي وزارة الشئون الدينية والأوقاف تعيين دعاة متخصصين، تكون وظيفتهم بث التسامح والتآلف وغيرها من المواقف النبوية الحكيمة بين الناس.
3. أوصي الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة والقانون المختلفة أن تُدخل في منهجها الدراسي كل مايتلق بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه للقضاة، ومايتعلق بدراسة سيرته صلى الله عليه وسلم ومافيها من عبر ودروس.
4. أوصي العلماء والدعاة إلى الاهتمام بالحكمة النبوية وشرحهاإلى المسلمين في شتى بقاع العالم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ،لحسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: 966هـ) ، دار صادر – بيروت
2. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) دار التراث – بيروت ، الطبعة: الثانية – 1387 هـ .
3. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1415 – 1995.
4. تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986.
5. تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند
6. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: 74هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة:الأولى، 1400 – 1980م.
7. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، لابى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة : الثانية ، 1384هـ - 1964م
8. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423هـ ،
9. زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، الطبعة: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م .
10. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م .
11. سنن ابن ماجه ، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
12. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

13. سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م .
14. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية - 1427هـ .
15. السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م .
16. شرح رياض الصالحين ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة: 1426 هـ .
17. شرح صحيح البخارى لابن بطال ، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م .
18. صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، 1422هـ .
19. صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى، 1397هـ.
20. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ) ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1993/1414.
21. غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1326هـ.
22. فقه السيرة ، لمحمد الغزالي (المتوفى: 1416هـ) ، دار القلم – دمشق ، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة: الأولى، 1427 هـ
23. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ .
24. القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
25. لرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ) ، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى
26. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414هـ
27. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبى الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)المحقق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م .

28. مجموعة الرسائل والمسائل ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ) علق عليه : السيد محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي .
29. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م .
30. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ) ، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) .
31. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت .
32. المعجم الكبير ،لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية .
33. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
34. المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى - 1412 هـ .
35. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية،1392هـ .
36. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي .